التعريب في العصر الأموي وأثره على الحضارة العربية الإسلامية

أحمد محمد عبد السلام اللافي
جامعة المرقب . كلية الآداب والعلوم – مسلاته

ملخص:

هذا البحث بعنوان التعريب في العصر الأموي وأثره على الحضارة العربية الإسلامية، وهدف إلى التعرف على حركة التعريب والترجمة في ذلك العصر، وهدف إلى التعرف على معايير اختيار الوظائف القيادية، وملامح السياسة العامة في ذلك العصر، واتبع الباحث المنهج التاريخي في تجميع كافة بيانات بحثه وتوصل الباحث إلى نتيجة مفادها أن الأمويين قاموا بأكبر عملية تعريب، أكدت من خلالها جذور اللغة العربية، وهي عملية تاريخية في التعريب لا يضاهيها إنجاز على مدى الحكم العربي آنذاك، حيث طال التعريب العملة المتداولة التي طبع عليها بالحرف الأجنبي؛ لذا كانت فكرة التعريب لها الأثر الكبير في رفع شأن اللغة العربية، وأصبحت القياس للتعليم في العديد من البلاد في ذلك الوقت، وساهمت في تطوير الحضارة العربية الإسلامية .

مقدمة:

يتحدث البحث عن موضوع التعريب في العصر الأموي، باعتباره من الموضوعات المهمة التي تعتبر الأساس الذي بنى عليه الأمويون الحضارة العربية وأرثها الحضاري في تدوين مختلف الدواوين الأساسية والإدارية للدولة التي أخذه الخلفاء الأمويون عن غيرهم حتى صارت بلادهم مثابة العالم في مختلف العلوم والثقافة والفن والآداب.

واشتمل البحث على مقدمة، وخاتمة، كما اعتمد على عدد من المصادر والمراجع، التي تناولت تاريخ الدولة الأموية، وخلفائها، ودورهم في الحضارة العربية الإسلامية ونزعتهم العربية، واتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي حتى تكون الفائدة أعم وأشمل.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على السؤال التالي:

ما أثر التعليم في العصر الأموي على الحضارة العربية الإسلامية؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تعريف القاري بحركة التعريب والترجمة التي كان لها دور أساسي في نشر اللغة العربية في كل الأراضي التي وصل نفوذ الخلفاء الأمويين إليها، إلى جانب التعريب الذي شمل كل مفاصل الدولة، إلا أن الترجمة كانت مصاحبة للتعريب، فقد تمت ترجمة العديد من العلوم، في الأدب، والتاريخ، والتربية، والفلك، والأخلاق، والأرقام، وكان لحركة الترجمة الأثر في حركة النهضة في أوربا، ونتيجة لذلك فإن حركة التعريب في العهد الأموي تستحق أن تبحث بحثا تفصيليا قدر المستطاع.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى الآتي:

1. التعرف على حركة التعريب والترجمة في العصر الأموي، وأثرها على الحضارة العربية الإسلامية.
2. التعرف على معايير اختيار الوظائف القيادية في العصر الأموي.
3. التعرف على ملامح السياسة العامة في الحكم عند الأمويين.

منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج التاريخي في هذا البحث باعتباره من أنسب المناهج الملائمة.

الإطار العام للبحث: تم تقسيم هذا البحث إلى النقاط الاتية:

أولاً – **التعريب في العصر الأموي:**

تعتبر الدولة الأموية (40هـ – 132هـ) من الدول الإسلامية المتميزة في التاريخ العربي، فهي الدولة التي ضمت إليها أراضي واسعة حتي وصل سلطانها إلى حدود الصين في الشرق وإلى (بواتيه)، الفرنسية في الغرب[1]، فضلا عن شجاعة خلفائها المتميزة في المحافظة على وحدة الأرض التي مدوا عليها نفوذهم والحفاظ على كرامة تلك الأرض وشعوبها .

اختلف الأمويون عن غيرهم من العرب الذين حكموا من بعدهم بانفرادهم في التمسك بالعروبة والعرب نسبا وأصلا، باعتبار العروبة القاسم المشترك الذي يجمع العرب في كل الأزمنة وعلى مساحة الأوطان؛ لذا تبحروا – وبتركيز – في أنساب الخلفاء وكبار موظفي الدولة عند الاختيار، حيث اعتمدوا على ذوي الجذور العربية الخالصة منهم، لإيمان قادة الدولة الأموية بأن العنصر العربي هو فقط القادر بالنهوض بأعباء هذه الأمة، وقد ثبت صحة هذا الرأي العملي بعد انهيار

دولتهم، ومجيء العباسيين من بعدهم، حيث اعتمد بنو العباس في جل عهدهم، لتنفيذ سياسة دولتهم على العنصر الأجنبي، فحصدوا نتائجها المرة، وكانت وبالا عليهم وعلى الأمة العربية، حيث تفتت دولتهم إلى العديد من الدويلات[2]، حتى وقتنا الحاضر.

إن ما يميز الدولة الأموية هو الدفع بعملية التأسيس لتقدم للعرب في جميع الجوانب الفكرية، والإدارية والبناء المعماري، بالاعتماد على الجذر العربي الذي تميز بنقائه واستقلاله بعيدا عن المؤثرات الخارجية، وبذكاء منقطع النظير وجد قادة الأمة من الأمويين – في رأيهم– أن استمرار دولة عربية قوية، لن يتحقق إلا بإيجاد حركة علمية حضارية معتمدة على أسس عربية عميقة الجذور[3] .

ومن أجل تطبيق هذه المبدأ حزم الأمويون أمرهم فطبقوه على أرفع المناصب الوظيفية في الدولة وهو اختيار خليفة المسلمين؛ لذا أبعد العديد من رجال بني أمية عن استلام منصب الخليفة، لأنهم ليسوا عربا أقحاحا من ناحية آبائهم أو أمهاتهم، وهناك العديد من الأمثلة التي توضح هذا الأمر في تاريخ الدولة الأموية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، مسلمة بن عبد الملك، الذي برز في الميدان العسكري، وتحديدا جبهة القسطنطينية، في عهدي الوليد بن عبد الملك وسليمان ابن عبد الملك، حيث استمر قائدا للجيش على هذه الجبهة حتي تسلم عمر بن عبد العزيز منصب الخلافة[4]، وفضلا عن هذا كله فقد تم استبعاده عن منصب الخلافة؛ لأن أمه لم تكن من أصل عربي خالص، ومثال آخر على ذلك هو التخلص من الخليفة الأموي الوليد الثاني وقتله، بسبب تخطيطه لجعل ولاية العهد في ولديه الحكم وعثمان، وهما من أمهات غير عربيات[5].

وكان الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، على الرغم من ماضيه العسكري، الذي لم يشفع له، بسبب أن والداته كانت غير عربية، لذلك عد مغتصبا للخلافة، مما فجر موجة من المعارضات والمؤامرات شغلته طوال فترة حكمه[6].

بل كان ذلك سببا رئيسيا أثر على موقف المقاتلين معه ضد ثورة العباسيين في معركة (الزاب) الشهيرة، حيث لم يكن موقفهم القتالي جديا كما ينبغي، الأمر الذي قاد إلى انهيار دولة الأمويين وسقوطها عام 132 هـ[7].

وما يسجل على بني أمية هو غفلتهم لفترة طويلة عن الأصل الحقيقي لسكان المغرب الكبير، الذي يتفق عليه معظم المؤرخين على أنه عربي سامي وحامي[8]، لهذا استمر الأمويون في تسمية سكان المغرب بالبربر، مستخدمين الصفة التي أطلقت على كل الشعوب التي لا تتكلم اليونانية أو الرومانية من قبل اليونان والرومان[9].

فعندما تولى عقبة بن نافع عمليات الفتح في المغرب عامل المغاربة معاملة قاسية، فلم يساوِ بينهم وبين عرب المشرق في الغنائم والعطاء، مما كان لهذه السياسة أثر في قتله، في عهد يزيد بن معاوية، على يد زعيم قبيلة (اوربة) كسيله، في معركة تهوده (سيدي عقبة)، في المغرب الأوسط، وذلك سنة 63 هـ[10]، وعلى عكس ذلك قادت سياسة أبي المهاجر دينار الذي تولى قيادة عملية الفتح في المغرب لمدة سبع سنوات إلى قبول جمهور كبير من المغاربة الإسلام؛ لتميز سياسته بالمساواة والعدالة بين العرب المشارقة والمغاربة في عملية الغنائم والعطاء وفي تولي المناصب القيادية وتوزيع المسؤوليات، مما جعل فترة قيادته من الفترات المتميزة والمشرفة التي سبقت تولي القيادة من قبل حسان بن النعمان الغساني الذي عمل هو الآخر جاهدا على تطبيق المساواة بين الجميع[11]، فتجسد الأمر على أرض الواقع في حياة المغاربة، لوقوف عدد كبير من المغاربة إلى جانب الفاتحين العرب، قصد إعانتهم في المجهود الحربي، فتحسنت أحوالهم وساد الأمن ببلادهم .

ومع تمسك المغاربة بدينهم الجديد وبرز عدد منهم في القيادة، إلا أن العرب استمروا في تفاخرهم بأنهم أحفاد أولئك الرجال، الذين فتحوا الأرض في قارة إفريقيا وآسيا وأوروبا، فمثلا عند إرسال بعض الزعماء القياديين إلى الأندلس في عصر الولاة وأبرزهم الصميل بن حاتم الذي حل في الأندلس مع الشاميين، وفي أحد الأيام كان مارا في أحد شوارع قرطبة، فسمع المعلم يعلم الصبية الآية القرآنية الكريمة "وتلك الأيام نداولها بين الناس" فاعترض على قول المعلم وقال له: "وتلك الأيام نداولها بين العرب"[12]، ويفهم منه على أنه لا يريد مشاركة أحد الأجناس البشرية من غير العرب في شؤون الحكم مهما كانت قدراتهم الإبداعية، كونه يحمل أفكارا مسبقة ومقتنع بها تماما، أن السيادة يجب أن تبقي حكرا للعرب دون غيرهم من المسلمين من غير العرب، وما أطلق عليهم اسم الموالي آنذاك[13].

وخير مثل عبر عن هاجس الأمويين في تمثيل الروح العربية في جوانب الحياة المختلفة، هو عندما تخلص الخليفة عبد الملك بن مروان من مخاطر المعارضة الداخلية لدولته، المتمثلة في قمع حركات التمرد العنيفة، كون تلك الحركات قد هددت الحكم الأموي بالسقوط والزوال في وقت مبكر من حكمهم، وما أن انتهي الخليفة من القضاء على الثورات المناوئة لحكمه، حتي بدأ في إنجاز أكبر عملية حضارية، يقوي من خلالها جذور الوجود العربي وأسسه، هو القيام بأعظم عملية تاريخية في التعريب التي لا يضاهيها إنجاز على مدى الحكم العربي التي شملت دواوين الدولة جميعها[14].

أما الإنجاز الكبير الآخر فكان تعريب العملة المتداولة في الدولة الإسلامية، فتعريب الدواوين قاد إلى تدعيم سلطة الدولة العربية إداريا على الأراضي التابعة لها، وكذلك الأمر بالنسبة لتعريب النقود المتداولة، التي عبرت عن شخصية الدولة، فكان من نتيجتها الحتمية نشر اللغة العربية[15]، وإتاحة الفرصة للعرب لتولي أرفع المناصب الإدارية وأهمها شأنا، بعد أن كان ذلك حكرا على غيرهم، الأمر الذي كان يضعف تكوين الدولة القومي بصورة مباشرة، ويتناقض مع سياسة الدولة العامة المخطط لها، ومما كان يضعف الثقة بين الدولة كمؤسسة قيادية والإدارات التابعة لها، ولا يمكن أن تمتن هذه الثقة ما دام موظفوها ليسوا عربا، لهذا كان لفكرة التعريب أثرها العظيم في رفع شأن اللغة العربية، حتى غدت اللغة الرئيسية بعد أن كانت تعتبر كأي لغة أجنبية بالنسبة لأهل البلاد المفتوحة.

ويبدو أن تعريب الدواوين كان حسب أهمية كل واحد منها، حيث تم تعريب معظمها في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، مثل ديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الرسائل، وديوان المغانم، وديوان البريد، وقبل التعريب كان الذي بإدارة أمور هذه الدواوين المهمة لأركان الحكم، هم من المواطنين اليونانيين في الشمام، والفرس في العراق، والأقباط في مصر، واللاتينية اليونانية في المغرب[16].

ومن نتائج التعريب المهمة والمباشرة، هو التخلص من العملة المتداولة التي طبع عليها بالحرف الأجنبي، عن طريق إلغاء جميع العملات السابقة واستبدالها بالدنانير العربية الحديثة الطبع التي تبلورت في شكلها النهائي عام 77 هـ[17].

وما من شك في أن هذه العملة العربية الجديدة المدون عليها باللغة العربية، قد أعطت للدولة العربية شخصية مستقلة عن العالم بأجمعه، وجعلت لها وجاهة بين العرب أنفسهم، وكذلك لدى الدول الكبرى آنذاك، ومنذ ذلك الحين ازدهرت اللغة العربية وفي جميع الميادين، وأصبح مقياس التعلم هو أن يتمكن الرجل من قراءة اللغة العربية وكتابتها[18].

لذا أصبحت اللغة العربية أداة التفاهم اليومي في كل الولايات التابعة للدولة، التي حكمها الأمويون في الشرق والغرب، ونتيجتها توقف وهج اللغات العالمية السائدة آنذاك كاليونانية والفارسية واللاتينية وغيرها في المنطقة .

وفي الأندلس أصبحت اللغة العربية لغة الثقافة والإدارة، فشد ازدهار هذه الثقافة إعجاب سكان البلاد الإسبان حتي الذين حافظوا على ديانتهم، فاقبلوا على تعملها والاطلاع على إبداعاتها الثقافية طواعية من أجل الاندماج في المجتمع الجديد، وقاد هذا إلى تراجع الثقافة اللاتينية في الأندلس، وبدت اللغة العربية وكأنها مقياس لامتداد حضارة وانحسار أخرى، وكرد فعل طبيعي حاول المحافظون على الثقافة اللاتينية وحضارتهم القديمة وجلهم من رجال الدين المسيحيين، بمحاولات يائسة لإيقاف اندماج أهل البلاد وانصهارهم في المجتمع الجديد، في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية، لكن تدخل عقلاء القوم من كلا الطرفين المتمثل بعدد من كبار الموظفين لدى الدولة العربية، و بعض من رجال الدين المسيحيين لتجاوز الأمر[19] .

ثانياً – أثر التعريب على الحضارة العربية الإسلامية

كان للتعريب أقوى أثر من الفتوح في مجال تثبيت أركان الدولة العربية، تلك الدولة التي تمكنت في إجراءاتها على التحرر الاقتصادي العام من الاستعمار الأجنبي وهيمنته، فقدم التعريب فرصة قيمة للمؤسسة الحكومية كي تشرف وتراقب شؤونها[20] .

وقد ركز الخليفة عمر بن عبد العزيز على إعادة المثل الإسلامية العليا إلى الحياة العامة، وطبق هذا في الأندلس عندما وجه أوامره إلى السمح بن مالك الخولاني والي الأندلس آنذاك، بعد أن أقنعه السمح بن مالك بضرورة استقرار العرب هناك، وأن يقوم بتخصيص جزء من أراضي الخراج في الأندلس ومنحها للقبائل العربية التي استقرت هناك، لأن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان عازما في بداية حكمه على سحب العرب من الأندلس، بسبب مخاوفه على مصيرهم، حيث كان الهدف

من توزيعه للأرض، في مناطق كالعراق والشام ومصر، هو الاستقرار الدائم في تلك الأراضي؛ لأن هدفه الأسمى من ذلك هو العمل على انتشار مفاهيم العروبة والإسلام .

وقد استفاد في خطته هذه من سياسة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وصحبه القادة الآخرين من بعده، الذين أرادوا من هذه الأفعال تعريب الأقاليم المفتوحة مثلما حصل لإقليم خراسان، لأنهم وجدوا من خلال تجربتهم، أن عملية التعريب المنشودة لن تنجح إلا من خلال استقرار العناصر العربية في هذه الأقاليم المفتوحة حديثا، وبالتالي هذه السياسة جعلت العرب يشعرون بأن مصالحهم في تلك البلاد أصبحت أمرا واقعا في حياتهم[21].

وتم ذلك في بعض مناطق خراسان، بعد أن اقتنع بحيوية حركة انتشار الإسلام هناك، وبعد أن علم بأن بعض ولاة خراسان، يرفضون دخول الأتراك في الإسلام، بحجة أن أموال الجزية ستغدو قليلة، وبالتالي فإن بيت المال سيعاني من قلة في الأموال، وسيؤدي ذلك إلى نقص في تمويل مشاريع الدولة واحتياجاتها[22].

ولعل أهم ما يجسد تاريخ الأمويين فيما ضمروه تجاه العرب والعروبة، القول المأثور للخليفة هشام بن عبد المالك حينما وصله خبر عدم نجاح الوالي المغربي عبيد الله بن الحجاب في تصديه لثورة الخوارج، التي اندلعت في أرض المغرب الأقصى بقيادة ميسرة المتغري سنة 122 هـ[23]، ضد الدولة الأموية، عندما قال هشام بن عبد الملك: "والله لأغفين لهم غافية عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي"[24]، ويمثل قول الخليفة مدى اعتزاز زعماء بني أمية بانتمائهم إلى عروبتهم وقدرتهم في الرد لإيقاف عدوهم .

إن تمسك الأمويين بسياستهم العربية الثابتة قد انعكس على استمرار حكم دولتهم سلبا، حيث كانت تلك السياسة أحد الأسباب التي فعلت فعلها، حيث أسهمت في سقوط دولتهم على أيدي العباسيين، الذين جاؤوا إلى الحكم بعد عمل معارض متواصل من التنظيم والدعاية السرية ضد أبناء عمومتهم الأمويين تحت شعار العمل من أجل إعادة الحق إلى أصحابه، والمقصود بالحق هو ذلك الذي تجسد بمنصب الخلافة، التي عمل بني العباس من أجلها تحت شعار، الرضا لآل البيت، وبعد تحقيقهم للنجاح المنشود في أعمالهم وإنهاء الدولة الأموية، تنكروا لأصحاب الحق من آل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فكانت معاملتهم مع آل البيت مشابهة لمن سبقهم في الحكم .

وكان من أبرز عوامل انتصار العباسيين في معركتهم ضد الأمويين، هو تذمر القبائل العربية [25]، المستقرة في إقليم خراسان بسبب سوء وصول العطاء لهم، وعدم الفوز بمنصب الخلافة، فضلا عن استغلال وضع الموالي من غير العرب، حيث وعدهم العباسيون بتحقيق امتيازات واسعة لهم ومن ضمنها المشاركة في الحكم، فيما إذا وقفوا إلى جانبهم في دعوتهم ضد الأمويين، فكانت دعوة واسعة جمعت طيفا واسعا من المعارضين، فموقف العرب المتذمرين والموالي في إقليم خراسان، جعل الثورة العباسية تنطلق من هناك، التي كان من نتيجتها سقوط الدولة العربية الأموية[26].

اعتقد الأمويون أن الإسلام لا يصلح لأن يكون القاسم المشترك لجميع الشعوب التي دخلت الإسلام، لأن هذه الشعوب ومنها الفرس والترك قد بقيت متمسكة بانتمائها القومي، ولم يتمكن الإسلام من تغييرها.

لذلك نرى أن الأمويين تعصبوا لعروبتهم واعتبروها في مقدمة كل أمر، وأصبحت في نظرهم القاسم المشترك والمظلة الوحيدة التي يستظل بظلها كل العرب والشعوب الداخلة في الإسلام .

وبنظرة فاحصة نجد أن الأمويين قد أصابوا في نظرتهم؛ لأنهم اعتقدوا وبثقة عالية أن الشعوب الأخرى من غير العرب، التي دخلت في الإسلام، لا يمكن أن تتخلى عن مشاعرها الوطنية والقومية بسهولة، وهذا ما حصل بالفعل في العصور التاريخية اللاحقة حينما تآمرت هذه الشعوب ضد العرب، للاستحواذ على مقدرات الحكم، فداسوا هيبة الخلافة والمصالح العربية عرض الحائط، ومثالنا على ذلك ما حصل من تصرفات الفرس والترك ومن تبعهم من الأقوام الأخرى من غير العرب، في العصر العباسي الثاني وما بعده [27].

ويلاحظ أن الموقف الأموي لم يخلُ من النقد اللاذع من قبل الأطراف التي وقفت ضدهم، مما شوه سمعة تاريخهم، الذي تميز بالتوسع الجغرافي وانشار رقعة الإسلام في آسيا وإفريقيا وأوروبا، فكال لهم معارضوهم، بسبب قوة تمسكهم بالعروبة، التهم الظالمة، التي كان من أشدها أنهم ابتعدوا عن الإسلام ونادوا خلفاءهم بالملوك، واستخدامهم لنظام الوراثة في الحكم، ونفي الصفة الدينية عن فترة حكمهم[28].

ولا بد أن هذه الادعاءات ابتعدت عن الحقيقة، لأنه من باب إيضاح الحقيقة وتثبيتها، والوفاء للإسلام أن ننفي عن الأمويين مثل هذه التهم الباطلة؛ لأنهم رأوا أن مصلحة الإسلام لا تتعارض

مع مصلحة العرب، وما كان للإسلام أن ينتشر ويستمر دون العرب، ذلك لأن القران الكريم يعد المصدر الرئيسي للشريعة الإسلامية، كتب بلغة العرب، وهو ما ثبته وأقره الأمويون في كل خطواتهم السياسية.

ويعد الخليفة معاوية بن أبي سفيان أو من قام بتنفيذ تلك الخطوات، حيث اتخذ أول خطوة لتمتين صلاته مع قبائل بن كلب بالشام، فتزوج ميسون بنت بجدل الكلبية، فكانت النتيجة دخول الكلبيين في الإسلام. وقرب الآراميين من الخلافة، سكان البلاد الأصليين، فتتم معاملتهم بأخوة، فلم يشعروا أو يلتمسوا فرقا بين مسيحي ومسلم، انطلاقا من أن الجميع عرب ومن جذور واحدة يتساوون في الحقوق والواجبات[29].

وبوصول الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى منصب الخلافة قام بالعديد من الإصلاحات الإدارية والمالية منطلقا بذلك من أسس شرعية إسلامية، لأنه من بين الخلفاء المتميزين الذي اراد تطبيق الشريعة الإسلامية واعتبارها البوصلة الفاعلة لتوجيه سياسة مؤسسات الدولة، ولم تخل هذه السياسة من معارضة بعض الأمويين الذين اعتبروها إطاحة لمشروعهم السياسي العربي، الذي يقوم على الفصل بين السياسة مما دفعهم لمتابعته سرا وعلانية حتى تم التخلص منه بواسطة دس السم له وقتله[30]، ومن الخطوات الواضحة التي اتخذها الخليفة عمر بن عبد العزيز على سبيل المثال لا الحصر التي كان الأمويين لا يطبقونها، أنه قام بتوزيع العطاء على العرب وغير العرب من الموالي الذين كانوا يحاربون مع العرب في العديد من البلدان، مثل خرسان والمغرب والأندلس.

في الوقت الذي كان القادة الأمويون في الميدان هم الذين يتولون توزيع العطاء على الجنود، وكان يخضع في كثير من الأحيان ذلك الأمر إلى رغبات القائد ونظرته إلى المقاتلين حيث كان يتم إلغاء الجنود من غير العرب في سجلات العطاء، مما جعل الكثير منهم يشعر بالمرارة والحرمان، على الرغم من مطالبتهم بحقوقهم [31].

وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز عاد الأمويون إلى سابق عهدهم من حيث اعتمادهم على الشعور العربي، ومنهم الخليفة هشام بن عبد الملك، الذي ابتعد كثيرا عن الاهتمامات الدينية واعتبرها من اختصاص الشيوخ وفقهاء الدين، فأكد على تعزيز مسيرة الدولة على أساس تفوق العنصر العربي على غيره في الجوانب الحياتية المختلفة.

وتعتبر خطوته هذه لدى العديد من المؤرخين، خطوة متقدمة كالتي هي مطبقة في البلدان الأوروبية في الوقت الحالي، حيث خلصتهم من ازدواجية السطلة بشكل عام، إلا أن نظرته السياسية هذه جلبت عليه الويلات والمشاكل، فاتهمه خصومه بتهم شنيعة وقاسية، كان في مقدمتها، حسب الروايات السماح لواليه على العراق خالد القسري بالاستمرار في ولاية العراق، على الرغم من اتهامه بأنه كان يميل إلى الديانة المانوية[32] .

لذا ألصق به خصومه تهمة كونه من أوائل الزنادقة في الإسلام، واتهم كذلك ببناء كنيسة لوالدته بالكوفة قبالة المسجد، وتسامحه اللامحدود مع اليهود، حيث استخدمهم في جباية الأموال، والخراج، فضلا عن تكليفهم بالأعمال الإدارية والمالية المختلفة[33] .

وفي جميع الأحوال، كان الأمويون يقصدون سن سنة حميدة للعالم أجمع، هي طريقة في غاية التقدم والنضوج، عن طريق وضع حد فاصل وواضح لا لبس فيه بين إدارة الحكم والدين، وما يطلق عليه اليوم في حياتنا، مبدأ الفصل بين الدين والدولة.

ولم يكن هدف الأمويون إلا اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وزيادة قوتها، لذا قربوا عدد من علماء الدين البارزين في عصرهم مثل الشيخ الأوزاعي ورجاء بن حيوة وغيرهم [34].

ثالثاً: ملامح السياسة العامة في الحكم عند الأمويين

ما يلاحظ على السياسة العامة للحكم عند الأمويين هو عدم قدرتهم على فهم متطلبات الحكم وقيادة الدولة، مما أدى إلى تدمير مشروعهم السياسي العربي الإسلامي، حيث عجزوا عن فهم الحرية التي نادي بها الإسلام، وذهبوا إلى السعي الحثيث لإكثار ثرواتهم وأملاكهم، كما وقعوا في غلط كبير حينما عملوا على سحق من يعارضهم مهما كانت ادعاءاته، مما قاد إلى توسيع شقة الخلاف بينهم وبين أبناء عمومتهم المطالبين بالحكم، حيث وصل الأمر إلى سفك الدماء، فضلا عن تفوق الميول العصبية القبلية لديهم، فانقسم الناس في عهد دولتهم إلى مؤيدين لقبائل القيسية أو اليمانية[35].

كان وما زال الأمويون في وجهة نظر العرب، رجالا عظاما وضعوا للعرب نظرية خالدة، هي أن تحقيق المجد لا يتأتى إلا من خلال التعاون العربي الجاد والصادق في جميع الجوانب الحياتية، ومن أجل أن يحقق العرب ما كان عليه الأمويون عليهم واجب التخلص من الإقليمية والفردية

والقبلية، وإذا لم يتم ذلك فيكون مستقبل العرب الاستبعاد من قبل الآخرين[36]، وهو ما يتحقق في وقتنا الحاضر .

كانت الدولة العربية الأموية من أكبر وأهم الدول في العالم، وجاءت أهميتها في المقام الأول كون حكامها عرب أقحاح، فجعلوها عربية صرفة، لا سيما بعد أن حققوا عمليات التعريب في الإدارة والعملة، لأنها ساعدت على تقوية الحكم العربي بعد أن صبغت كل شيء في جهاز الدولة بالعربية، وتحديا نشر اللغة العربية في الدواوين والاعتماد على العنصر العربي في الوظائف، فضلا عن ازدهار اللغة العربية حتى أصبحت مقياسا للثقافة والعلم والتعلم بعد أن يتمكن الإنسان من قراءة العربية وكتابتها، فغدت لغة عالمية وأداة للاتصال والتواصل من بلاد فارس حتى جنوب فرنسا [37].

وإذا تتبعنا التسلسل الزمني للعصر الأموي وما بعده من بني العباس نلمس بوضوح أن ما فعله الأمويون على مستوى التعريب، كان إنجازا ومهمة وطنية وقومية لا تضاهيها مهمة، كان من واجب العرب الحفاظ عليها لا التخلي عنها كما حدث في العصر العباسي، حيث قاد الابتعاد عنها إلى ظهور عناصر قوة بين الأمة على حساب العرب، فكان في مقدمة هذه العناصر القوميات المتعددة كالقومية الفارسية التي ولدت حركة الشعوبية للوقوف بوجه الوجود العربي، وكذلك فعل الأتراك والسلاجقة، حينما جردوا الخليفة العباسي من كل صلاحياته، حتى وصل المغول في القرن السابع للهجرة / الثالث عشر الميلادي، فأتموا عملية القضاء على ما تبقي من الرمز العربي، الذي كان يمثله الخليفة العباسي المستعصم بالله الذي قتله المغول .

الخلاصة: من خلال العرض السابق يتضح أن الأمويين قد غرسوا جذور التعريب وقواعده في كل ميدان من ميادين الحياة العامة، معتمدين في ذلك على إيمانهم الراسخ بأن العرب لن يكتب لهم الخلود إلا بالاعتماد على أنفسهم من خلال ثرواتهم الكبيرة ومن خلال تعاونهم مع الآخرين على أساس الاحترام المتبادل، وكانت قدوتهم الحسنة على هذا الطريق القويم، أعمال من سبقهم من الصحابة رضى الله عنهم، وكانت لعمليات التعليم والترجمة في عصرهم أثر كبير في تطور الحضارة العربية الإسلامية.

هوامش البحث

1. يد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ترجمة، عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1977، ص 152 – 153، ص158 .
2. عطية القوصي، تاريخ الدول العباسية، دار الثقافة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص168 .
3. إبراهيم الشريقي، التاريخ الإسلامي، ط 2، بيروت، 1981، ص 91 .
4. الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج 6، ص 434، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، دار صادر، بيروت، ص 521 .
5. الطبري، تاريخ الطبري، ج7، ص 232 .
6. فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريد، (د.ت)، ص 364 .
7. الطبري، تاريخ الطبري، ج 7، ص 312 .
8. سيد امير على، ص 85 .
9. حمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج 2، القاهرة ن 1963، ص 17 .
10. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، القاهرة، 1965، ص 169 .
11. سيد امير على، ص 104 .
12. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، مدريد، 1926، ص 62 .
13. لمزيد من الامثلة انظر: سيد امير على، ص 122 و ص 169 .
14. إبراهيم الريقي، ص 82 .
15. البلاذري، فتوح البلدان، ج 5، ص 651 – 652 .
16. المقريزي، المواعظ والأعبار، ج 3، ص 59 .
17. انظر: سيد امير على، ص 182 .
18. البلاذري، فتوح البلدان، ج 5، ص651 – 652 . الطبري، تاريخ الطبري، ج، ص 256.
19. أحمد بدر، تاريخ الأندلس، دمشق، 1983، ص 23.
20. إبراهيم زعرور وعلى أحمد، ص 63.
21. البلاذري، فتوح البلدان، ج 1، ص 43 –44.
22. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 1، دمشق، 1329 هـ . انظر كذلك إبراهيم الشريقي، ص 95.

23. مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في الأندلس، مدريد، 1867، ص 23 . ابن عذاري، ص 59 .
24. للبحث في طبيعة الدعوة العباسية وعروبتها انظر: محمد عبد الحي شعبان الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية في خراسان، جامعة هارفاد، 1960.
25. فاروق عمر، طبيعة الدولة العباسية، بيروت، 1970، ص 6 .
26. نبيه عاقل، دراسات من تاريخ العصر الأموي، ط 4، جامعة دمشق، 1992، ص 326 .
27. عبدالله عبد العزيز، التعريب في العصر الأموي، مجلة مسارات، العدد الخامس، مارس 2018.
28. السيد عبد العزيز سالم، المآذن المصرية، القاهرة، 1959، ص59 .
29. البلاذري، فتوح البلدان، ج 4، ص512 .
30. الطبري، تاريخ الطبري، ج 6، ص570 .
31. ماني، مؤسس لديانة فارسية قديمة، قامت على وجود الهين، إله الخير وإله الشر .
32. الطبري، تاريخ الطبري، ج 7، ص131 .
33. انظر: إبراهيم زعرور وأحمد وعلى، ص82 .
34. إبراهيم زعرور وعلي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق، 1996، ص4 .
35. المرجع نفسة، ص3 .
36. انظر: محمود السيد، تاريخ الدولة الأموية، مؤسسة الشباب، الإسكندرية، (د.ت)، ص186 .
37. المرجع السابق، ص136 وما بعدها.